

أوتار

عيسى: بدّي أوقف وأقول للكل، إنو القصة ملهاش لازمة: مش بالضرورة أنو الله موجود بالصورة اللي همه بفكروا فيها. اللي بدّي أقوله ... أو اللي لازم إني أقوله إشي تاني! إنو فش أشياء مشتركة بيني وبين هالعالم، وبين وبين حتى اللي بيعملوه.

حسين (يوجه نظرة إلى عيسى) : إنت غضبان! الحياة هيـك - كيف بيـفكروا فيها بتـصـير

عيسى: مزبـوط وحـسـيـتـ حـالـيـ بـرـجـعـ لـإـيـامـ الـحـارـةـ التـحـتـاـ لـماـ كـلـاـ عـاـيـشـينـ سـواـ فـيـ شـقـةـ صـغـيرـةـ،ـ هوـ بـكـتـبـ "ـحـجـرـ الـورـدـ"ـ وـأـنـاـ بـلـحـنـ بـ"ـكـوـكـ آـخـرـ".ـ

حسين: وأنا في سيـاـنـلـ،ـ كـنـتـ دـائـمـاـ بـحـبـ أـتـجـولـ فـيـ غـابـةـ قـرـيـةـ،ـ مـرـاتـ بـمـشـيـ،ـ مـرـاتـ بـقـعـدـ هـيـكـ أـتـأـمـلـ الشـجـرـ،ـ وأـفـكـرـ لـحدـ ماـ تـعـتـمـ،ـ وـتـبـيـتـ الـعـصـافـيرـ.ـ الـبـلـدـيـ هـنـاكـ بـتـحـطـ مـقـاعـدـ عـشـانـ النـاسـ تـقـدـ تـقـرأـ وـتـأـمـلـ،ـ وـفـيـ كـمـانـ حـنـفـيـاتـ مـيـ عـشـانـ هـالـعـالـمـ تـشـرـبـ!ـ سـيـاـنـلـ بـلـدـ حـلـوةـ وـفـهـاـ طـاقـةـ حـيـاةـ مـنـ نـوـعـ تـانـيـ.ـ فـيـ هـدـيـكـ الـفـتـرـةـ رـجـعـ لـيـ إـحـسـاسـيـ بـالـحـيـاةـ،ـ وـبـجـوـيـ إـنـيـ أـعـيـشـ،ـ إـذـاـ قـرـرـتـ إـنـيـ أـعـيـشـ.ـ وـأـدـرـكـتـ وـقـتـهـاـ إـنـهـ فـيـ نـوـعـيـنـ مـنـ الـبـشـرـ،ـ أـشـخـاصـ بـسـتـمـتـعـوـاـ فـيـ الـحـيـاةـ،ـ وـأـشـخـاصـ بـسـتـمـتـعـوـاـ بـالـلـيـ بـتـنـتـجـهـ الـحـيـاةـ.ـ إـبـرـاهـيمـ الـمـزـيـنـ بـسـمـيـ حـالـةـ "ـالـطـاقـةـ الـكـامـنـةـ"ـ هـاجـسـ!ـ هـذـاـ الـهـاجـسـ بـخـلـيـنـيـ فـيـ حـالـةـ بـحـثـ دـائـمـ وـمـسـتـمـرـ،ـ هـاجـسـ بـدـعـيـكـ لـإـنـكـ لـاـ يـمـكـنـ إـنـكـ تـغـادـرـ هـالـأـرـضـ بـدـونـ مـاـ تـرـكـ أـثـرـ.

كـنـتـ عـمـ بـسـمعـ،ـ وـكـانـ صـعـبـ أـعـرـفـ أـذـاـ كـانـ بـدـوـ يـكـمـلـ الـحـدـيـثـ أـخـلـصـ جـمـلـتـهـ،ـ وـخـيـمـ عـلـيـنـاـ الصـمـتـ مـثـلـ ضـبـابـةـ سـودـاـ.ـ طـرـقـتـ الـمـوـضـوـعـ تـانـيـ وـقـلـتـ:ـ فـيـ مـنـاطـقـ بـداـخـلـيـ بـتـعـطـيـ مـجـالـ لـلـهـاجـسـ تصـيـرـ مـعـزـولـةـ عـنـ الطـقـوـسـ وـالـأـمـرـ التـانـيـ الـلـيـ بـتـخـلـيـنـيـ عـالـةـ عـلـىـ حـالـيـ الإـبـادـعـيـةـ،ـ حـالـةـ بـتـتـحـولـ فـيـهـاـ كـلـ الـآـلـاتـ الإـبـادـعـيـةـ وـالـطـقـوـسـ الـلـيـ أـنـتـ نـفـسـكـ بـتـبـحـثـ عـنـهـاـ لـأـشـيـاءـ ثـانـيـةـ،ـ بـدـلـ مـاـ تـكـوـنـ ضـرـوـرـةـ مـنـ ضـرـورـيـاتـ وـجـوـدـكـ وـإـبـادـعـكـ،ـ وـرـغـمـ كـلـ شـيـ بـنـحـلـمـهـ عـلـىـ كـنـافـنـاـ وـبـنـمـشـيـ.

حسـيـنـ:ـ أـكـتـبـ،ـ أـكـتـبـ عـنـ "ـالـمـنـطـقـةـ".ـ

عـيـسـيـ:ـ قـلـلـلـيـ أـكـتـبـ عـنـ هـالـقـصـةـ مـنـ قـبـلـ،ـ بـسـ لـسـةـ مـاـ عـنـدـيـ الشـعـورـ أـوـ الرـغـبـةـ إـنـيـ أـحـكـيـ عـنـ هـالـمـوـضـوـعـ ..ـ مـاـ بـعـرـفـ لـيـشـ،ـ شـوـ رـأـيـكـ؟ـ

حسـيـنـ يـضـعـ رـأـسـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ،ـ كـمـ إـنـهـ لـيـسـ هـنـاـ،ـ وـيـدـنـدـنـ أـلـحـانـ غـيرـ مـفـهـومـةـ!

حسـيـنـ:ـ الـبـيـانـوـ اللـيـ غـرـيبـةـ،ـ مـرـتـ فـتـرـةـ حـيـبـتـهـاـ،ـ حـبـيـتـهـاـ كـثـيرـ،ـ لـكـنـ لـاحـقاـ تـوـلـدـ عـنـدـيـ شـعـورـ بـالـبـرـوـدـةـ تـجـاهـهـ.ـ مـمـكـنـ تـسـتـغـرـبـ مـنـ الـقـصـةـ،ـ كـثـيرـ مـنـ نـاسـ وـمـعـارـفـ كـانـواـ مـقـتـنـعـيـنـ تـامـاـ!ـ أـنـوـ مـاـ عـنـدـيـ أـيـ حـسـ مـوـسـيـقـيـ وـلـاـ بـأـيـ شـكـلـ مـنـ الـأـشـكـالـ،ـ لـكـنـ أـنـاـ بـعـقـدـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـحـاـلـوـاـ يـمـرـرـوـاـ الـدـاخـلـيـ شـعـورـ سـلـبـيـ تـجـاهـ حـالـيـ،ـ فـأـخـذـتـ الـمـوـضـوـعـ بـشـكـلـ شـخـصـيـ وـقـرـرـتـ إـنـيـ أـثـبـتـ لـهـمـ أـنـهـمـ عـلـىـ خـطـأـ.ـ وـأـخـذـتـ درـوـسـ الـبـيـانـوـ،ـ وـبـدـأـتـ أـعـزـفـ.ـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ الـلـيـ كـانـواـ يـبـيـجـوـاـ عـلـىـ بـيـتـتـاـ فـيـ سـيـاـنـلـ،ـ كـانـواـ يـفـكـرـوـاـ إـنـوـ أـنـاـ عـازـفـ بـيـانـوـ،ـ وـبـعـرـفـ شـوـ عـمـ بـعـلـمـ بـالـضـبـطـ.ـ لـدـرـجـةـ إـنـهـمـ كـانـواـ يـسـأـلـونـيـ عـنـ مـلـحنـ الـعـقـطـوـعـاتـ،ـ لـكـونـهـ وـجـوـدـيـ عـلـىـ الـآـلـةـ مـبـيـنـ حـقـيـقـيـ!ـ وـلـمـاـ كـنـتـ أـقـولـ أـنـوـ هـايـ كـلـهاـ إـرـجـالـاتـ،ـ مـاـ كـانـواـ يـصـدـقـوـاـ بـسـهـوـلـةـ.ـ وـأـدـرـكـتـ وـقـتـهـاـ إـنـوـ الـآلـيـ بـالـأـخـيـرـ نـحـنـاـ إـلـيـ بـنـعـمـلـلـهـاـ هـوـيـتـهـاـ،ـ وـهـوـيـتـنـاـ.

عـيـسـيـ:ـ مـعـ إـنـيـ كـنـتـ سـامـعـ مـنـكـ هـالـقـصـةـ مـنـ قـبـلـ،ـ بـسـ كـلـ مـاـ بـتـحـكـيـهـاـ مـنـ جـدـيدـ،ـ بـتـعـلـمـ إـشـيـ جـدـيدـ عـنـ حـالـيـ.

المـشـكـلـةـ يـاـ حـسـيـنـ إـنـوـ عـقـدـةـ "ـالـفـنـ الـحـقـيـقـيـ"ـ عـمـ تـعـمـلـ تـغـرـيبـ لـمـفـهـومـ الـفـنـ أـصـلـاـ،ـ فـالـفـنـ الـلـيـ بـيـنـ أـقـواـسـ "ـحـقـيـقـيـ"ـ بـتـعـاملـ مـعـ حـالـهـ إـنـوـ عـقـرـيـ،ـ وـبـاـسـتـمـارـ فـيـ تـشـمـيـنـ إـلـيـهـ إـنـهـ إـلـيـانـ "ـالـعـادـيـ"ـ بـيـنـ أـقـواـسـ مـشـ رـاحـ يـقـدـرـ يـجـارـيـ أـوـ حـتـىـ يـفـهـمـ هـالـمـوـضـوـعـ شـيـلـةـ.

حسـيـنـ فـتـحـ وـجـهـ وـقـالـ:ـ الـقـصـةـ كـلـهـاـ إـنـوـ قـدـيـشـ فـيـ قـلـبـ،ـ الـمـوـضـوـعـ مـهـوشـ سـرـعـةـ أـصـابـعـكـ عـلـىـ الـبـيـانـوـ،ـ هـيـ نـفـسـ قـصـةـ إـنـوـ الـدـنـيـاـ شـوـ إـنـتـ بـتـقـنـرـ فـيـهـاـ،ـ لـتـصـيـرـ كـيفـ فـيـ تـقـنـرـ فـيـكـ،ـ وـلـوـيـنـ بـتـوـخـذـكـ،ـ وـقـدـيـشـ بـتـقـنـرـ الـدـنـيـاـ عـلـىـ الـلـيـ أـعـطـنـكـ إـيـاهـ.ـ أـنـاـ شـخـصـيـاـ،ـ بـشـكـرـ الـحـيـاةـ عـلـىـ الـلـيـ أـعـطـتـيـ إـيـاهـ أـعـطـتـيـ كـثـيرـ،ـ أـعـطـتـيـ حـرـيـتـيـ،ـ وـصـدـفـيـتـيـ،ـ وـأـعـطـتـيـ فـرـصـةـ إـنـيـ أـحـسـ بـإـكـتمـالـ حـتـىـ لـوـ مـتـ بـهـالـحـظـةـ،ـ لـمـاـ بـنـمـوـتـ،ـ مـنـمـوـتـ كـامـلـينـ."

عـيـسـيـ:ـ وـالـفـنـ؟ـ

حـالـةـ

وـالـحـقـيـقـةـ

حـقـيـقـتـنـاـ إـحـنـاـ

والوطن
طفولة
والواقع
منطق
والإنسانية
غريبة مهجنة

رَحْ تقول لي إِنَّهُ الإِنْسَانِيَّة لَسْهُ مَا ترَكْتَ هَالْأَرْضَ، إِنَّوْ لَسْهُ فِي وَرْدٍ بِيكْفِي لِلَّكْ، وَفِي شَجَرٍ لَوْزٍ يَلْمِسُ قُلُوبَ النَّاسِ
مِنْ جَوَّهُ. رَحْ أَحْمَلُ هَالْقَصْصَ وَأَمْشِي، فِي الْلَّيلِ هَايْمَ مِثْلُ طَفْلٍ صَغِيرٍ بِلَعْبٍ بِالرَّمْلِ، بِخَدْهِمْ لِأَمَّاکِنْ وَبِوَخْذُونِي لِعَوَالِمِ
جَدِيدَةِ، بِمَشِي مَعْهُمْ لِحَالِي فِي الْمَسَا، بِحَمْلِ شَوَّيْهَ فِي إِبْدِي وَشَوَّيْهَ فِي قَلْبِي، وَبِرْشِ الْفَضْأَ أَغَانِي، بِفَقْشِ عَنْ مَعْانِي
وَعَنْ دُنْيَا مَخْبِيَّةِ. وَإِنْتَ لَسْهُ أَنْتَ مَا ترَكْتَ هَالْدُنْيَا، لَسْهُ فِي الْوَرْدِ وَفِي شَجَرِ اللَّوْزِ وَحَنُونِ الْغَزَالِ وَفِي الشَّمْسِ، بِنَكْفِي
لِلَّكْ.

عيسي بولص، شيكاغو 2003